سلسلة نساء النبى ﷺ
(٦)

الحَكِيمَةُ الرَّشِيْدَةُ
أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أبِى أُمَيَّةَ

رضى الله عنها

تأليف
محمد محمود القاضى

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١٥٦١٦
الترقيم الدولــي: I.S.B.N
977-265-651-5

دار التــوزيع والنشــر الإســلامــيــة

مصــر - القاهــــرة - السيدة زينــب ص.ب ١٦٣٦
٢٥١ش بور سعيد ت:٣٩٠٠٥٧٢ - فــاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة : ٨ ميدان الســيدة زينــب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

المهاجرة الأولى

بدأ الإسلام ينتشر رويدًا بين أهل مكة، ويشع نوره فى بيوتها، وكان بيت أبى سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أحد هذه البيوت المؤمنة، فلقد سارع أبو سلمة إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ بمجرد أن بلغته دعوة الإسلام، وأسلمت معه زوجته أم سلمة هند بنت أبي أُمَيَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهى من بنات عمومته..

ولا عجب فى مسارعة أبى سلمة إلى الإسلام والتصديق برسول الله ﷺ، فإن أبا سلمة ابن عمة الرسول ﷺ بَرَّة بنت عبد المطلب بن هاشم، كما أنه أخوه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب، لذا فأبو سلمة من أعرف الناس برسول الله ﷺ وبأخلاقه.



وتعرض أبو سلمة وزوجته لما يتعرض له المسلمون فى مكة جميعًا من أذى، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه». فكان أبو سلمة وزوجته أم سلمة من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، إن لم يكن أولهم هو وزوجته.

وحدث أن أهل مكة سمعوا الرسول ﷺ يقرأ سورة النجم بجوار الكعبة .. فلما وصل الرسول ﷺ فى القراءة إلى آخر السورة حيث موضع السجدة سجد من كان يسمعه من المشركين، فشاع الخبر فى أنحاء مكة أن كفار قريش أسلموا .. فانتقل الخبر إلى المهاجرين إلى الحبشة فأسرع بعضهم بالعودة .. وكان من هؤلاء أبو سلمة وزوجته أم سلمة..

ولكن بعد عودتهم اكتشفوا عدم صحة الخبر الذى وصلهم.

وظل أبو سلمة وزوجته بمكة إلى جوار رسول الله ﷺ.. وكان الله قد رزق أبا سلمة وزوجته بأربعة من الأولاد هم: عمر، وسلمة، وزينب، وبرة.

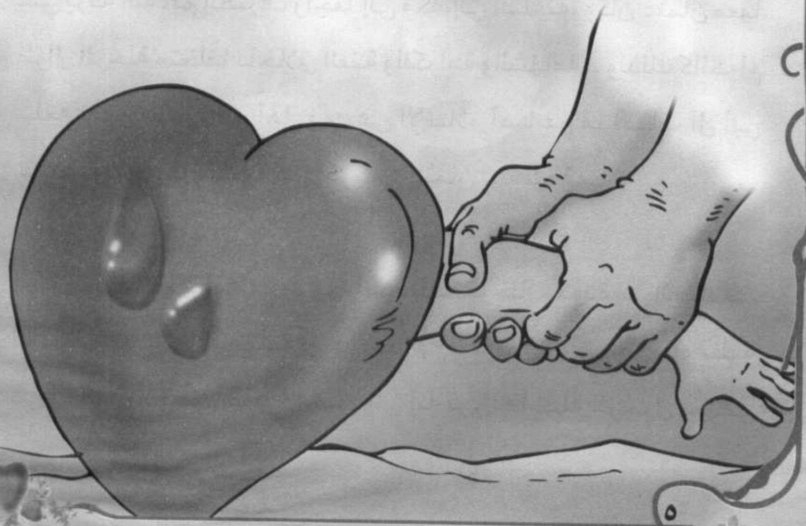
أول مهاجرة إلى المدينة:

وكما كانت أم سلمة وزوجها من أوائل المهاجرين إلى الحبشة كانت كذلك هى وزوجها من أوائل المهاجرين إلى المدينة، فما إن أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة عقب بيعة العقبة حتى قرر أبو سلمة الهجرة حتى ينجو من أذى الكفار له.. ولكن لم يكن أمر الهجرة بالأمر السهل، فلقد حدث أمر عظيم الشأن لأبى سلمة وزوجته وابنهما سلمة.

تحكى أم سلمة عن هذا الموقف قائلة:

لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابنى سلمة في حجري، ثم خرج بى يقود بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه، وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة، فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة، ففُرق بيني وبين زوجى وبين ابني.

فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح (مكان بمكة) فما أزال أبكى حتى



أمسي، سنة أو قريبًا منها، حتى مرَّ بى رجل من بني عمى فرأى ما بي فرحمني، فقال لبنى المغيرة: ألا تحرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟! فقالوا لى: الحقي بزوجك إن شئت ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابنى.

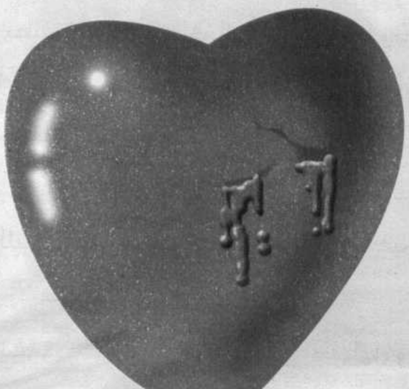
فارتحلت بعيري ثم أخذت بني فوضعته فى حجري ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة وما معى أحد من خلق الله، قلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار -وكان ما زال كافرًا- فقال: إلى أين يا بنت أبى أمية؟ قلت أريد زوجى بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قلت: لا والله إلا الله وبنى هذا. قال: والله مالك من مترك. ولم يتركها عثمان حتى وصلت إلى قرية بنى عمرو بن عوف وكان أبو سلمة بها، فقال: زوجك فى هذه القرية فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعًا إلى مكة،إلى المدينة، وكان عثمان معها طوال الرحلة متخلقًا بأخلاق العفة والكرامة والشهامة.. ولذلك كانت أم سلمة تقول: « ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحبًا كان أكرم من عثمان بن طلحة».

جراح وأفراح

وبدأت أم سلمة مع زوجها أبى سلمة مرحلة جديدة من الحياة فى المدينة، شهد فيها أبو سلمة بدرًا وأحدًا مع رسول الله ﷺ،وجرح أبو سلمة فى أحد، فعالج هذا الجرح، حتى ظن أنه برئ، فأرسله الرسول ﷺ فى

المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرًا من الهجرة سَرِيَّة إلى بنى أسد بقطن فغاب بضع عشرة ليلة ثم قدم المدينة فانتقض به الجرح فاشتكى، ثم مات لثلاث ليال مضين من جمادى الآخرة فى العام الرابع من الهجرة. وكان النبى ﷺ قد حضر وفاته، فبسط النبى ﷺ كفيه على عينيه فأغمضهما..

وفجعت أم سلمة بوفاة زوجها الحبيب أبى سلمة.. ولم يكن فراق أبى سلمة بالأمر الهين على زوجته أم سلمة، لما كان بينهما من حب عظيم.. وتذكرت أم سلمة يوم أن قالت لزوجها أبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تزوج إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك. فقال لها أبو سلمة: أتطيعينني؟ قالت: نعم. قال: إذا مت تزوجى. اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيرًا منى لا يحزنها ولا يؤذيها.



ولعل ذلك الحب الذى جمع بينها وبين زوجها هو الذى جعلها تتردد فى ذكر دعاء كانت قد تعلمته من رسول الله ﷺ يقال عند المصائب -على الرغم فى ثقتها فى أن ما يقوله رسول الله ﷺ حق، كما أنه لا ينطق عن الهوى- فعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم عندك أحتسب مصيبتى فأجرنى فيها وأبدلني خيرًا منها» فلما احتضر أبو سلمة قلت ذلك وأردت أن أقول وأبدلني

خيرًا منها، فقلت: ومن خير من أبى سلمة؟! فلم أزل حتى قلتها.

وذهب إليها رسول الله ﷺ يعزيها بأبى سلمة فقال: «اللهم عز حزنها، واجبر مصيبتها، وأبدلها بها خيرًا منها».

فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته، وخطبها عمر فردته، فبعث إليها النبى ﷺ. فقالت: مرحبًا برسول الله ﷺ وبرسوله، ولكنها رأت فى نفسها أمورًا أحبت أن تخبر رسول الله ﷺ بها قبل أن يقدم على الزواج منها ليكون على بصيرة من الأمر، فقالت لمن جاءها يخطبها لرسول الله ﷺ: أخبر رسول الله ﷺ أنى غَيْرَى (شديدة الغيرة)، وأني مُصْبِيَة (كثيرة الأولاد) وليس أحد من أوليائى شاهدًا.

فبعث إليها النبى ﷺ يقول: أما قولك إني مصبية فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك إنى غيرى، فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم إلا سيرضى بى..

وكانت أم سلمة تشفق على رسول الله ﷺ من أطفالها، وخاصة أنها كانت

ترضع ابنتها زينب فى ذلك الوقت.

وتزوجها الرسول ﷺ بعد أن دفع لها صداقها، وفرحت أم سلمة بزواجها من رسول الله ﷺ فرحًا عظيمًا، وأدركت عندئذ أن الله عوضها بمن هو خير من أبى سلمة وهو سيد البشر رسول الله ﷺ.

وقد كان زواجها من الرسول ﷺ فى شهر شوال فى العام الرابع من الهجرة.

أم سلمة فى بيت النبى ﷺ:

عندما تزوج النبى ﷺ أم سلمة أسكنها فى حجرة السيدة زينب بنت خزيمة -رضى الله عنها- والتى كانت قد خلت بوفاتها..

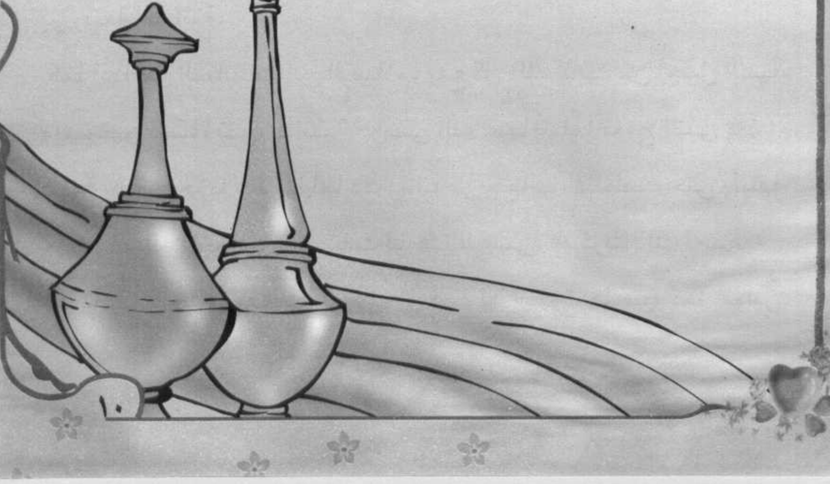
ولم يكن زواج أم سلمة من رسول الله ﷺ أمرًا عاديًّا على من سبقها من زوجات النبى ﷺ ، فأم سلمة من أعرق نساء قريش، فهى من بنى مخزوم، إحدى بطون قريش العريقة، وأبوها هو زاد الراكب أحد الأجواد فى مكة، وقيل: اسمه حذيفة، وقال آخرون عبد الله، وهى بنت عم خالد بن الوليد سيف الله، وبنت عم أبى جهل بن هشام، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة الكنانية.

كما أنها من السابقات إلى الإسلام، ومع كل ذلك كانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبًا، تقول عائشة -رضى الله عنها-: لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة حزنت حزنًا شديدًا لما ذكروا لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها، فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لى فى الحسن، فذكرت ذلك لحفصة -وكانتا يدًا واحدة- فقالت: لا والله إن هذه إلا الغيرة، ما هى كما تقولين،

وإنها لجميلة. فرأيتها بعد فكانت كما قالت حفصة ولكنى كنت غَيْرَى.

وحظيت أم سلمة بمكانة كبيرة عند رسول الله ﷺ، فعن هند بنت الحارث الفراسية قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن لعائشة منى شعبة ما نزلها منى أحد» فلما تزوج أم سلمة سئل رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله ما فعلت الشعبة؟ فسكت رسول الله ﷺ، فعرف أن أم سلمة قد نزلت عنده، وربما كانت مكانتها تضاهى مكانة عائشة.

ودخل الرسول ﷺ يومًا على عائشة فقالت له: أين كنت منذ اليوم؟ قال: يا حُمَيْرَاء كنت عند أم سلمة. فقالت: ما تشبع من أم سلمة. فتبسم النبى ﷺ، فقالت عائشة: يا رسول الله ألا تخبرنى عنك: لو أنك نزلت بعدوتين إحداهما لم ترع والأخرى قد رعيت، أيهما كنت ترعى؟ قال: التي لم ترع. قالت: فأنا ليس كأحد من نسائك كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل غيري. فتبسم رسول الله ﷺ.



ولما تزوج النبى ﷺ أم سلمة قال لها: «إنى قد أهديت إلى النجاشى أواقى من مسك وحُلَّة وإنى لا أراه إلا قد مات ولا أرى الهدية التي أهديت إليه إلا سترد إليَّ فإذا ردت إلي فهي لك» فكان كما قال النبي ﷺ مات النجاشى وردت إليه هديته، فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية من مسك، وأعطى سائره أم سلمة، وأعطاها الحلة.

وكانت أم سلمة -رضى الله عنها- تحب رسول الله ﷺ حبًا كثيرًا، وتحب قربه، وتسعى على تحقيق راحته، فقد كان لها غلام يسمى سفينة، فأعتقته أم سلمة وشرطت عليه خدمة رسول الله ﷺ ما عاش.

وربما كانت شدة محبتها لرسول الله ﷺ دافعًا لها على الغيرة من بعض نسائه، فذات مرة، قد كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ومعه فى ذلك السفر صفية بنت حُيَى وأم سلمة، فأقبل رسول الله ﷺ إلى هودج صفية بنت حيى وهو يظن أنه هودج أم سلمة، وكان ذلك اليوم يوم أم سلمة، فجعل رسول الله ﷺ يتحدث مع صفية، فغارت أم سلمة، وعلم رسول الله ﷺ بعد أنها صفية، فجاء إلى أم سلمة فقالت: تتحدث مع ابنة اليهودي فى يومى وأنت رسول الله. ولكن أم سلمة ندمت على تلك المقالة، فكانت تستغفر منها، قالت: يا رسول الله استغفر لى فإنما حملني على هذا الغيرة.

وكان نساء رسول الله ﷺ حزبين؛ فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر أزواجه، وقد كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، فاجتمع نساء النبى ﷺ عند أم سلمة فقلن لها: إن

الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فقولي لرسول الله ﷺ يأمر الناس أن يهدوا له أينما كان. فذكرت أم سلمة له ذلك. فسكت فلم يرد عليها. فعادت الثانية فلم يرد عليها. فلما كانت الثالثة قال: يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها. فاستجابت أم سلمة لرسول الله ﷺ حبًا له وإيثارًا لرغبته ولم تعد تذكر له هذا الأمر.

أم سلمة الفقيهة المحدثة:

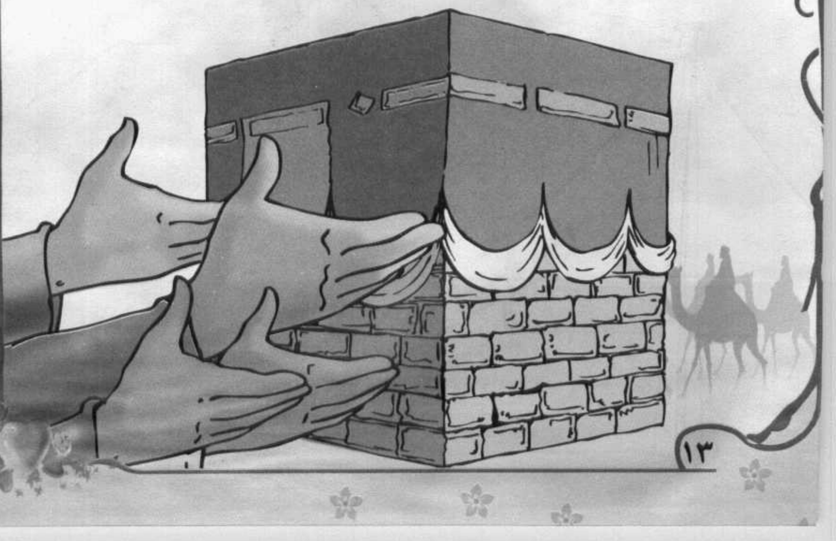
روت أم سلمة عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة، حيث يبلغ مسندها ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثًا، واتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر، كما أنها تعد من فقيهات الصحابة، وكثيرًا ما كان يأتى إليها صحابة النبى ﷺ بعد وفاته يستفتونها ويسألونها عن بعض أمور النبى ﷺ.

مشورة الحكيمة الرشيدة:

استنفر رسول الله ﷺ أصحابه إلى العمرة فى ذي القعدة سنة ست من الهجرة فأسرعوا وتهيئوا، وخرج الرسول ﷺ وصحابته ومعهم الهَدْى متجهين إلى مكة وليس معهم إلا السيوف فى أغمادها، وكان الرسول ﷺ قد صحب معه زوجته أم سلمة، وبلغ المشركين خروجه فأجمعوا رأيهم على صده عن المسجد الحرام، وحدث بين المسلمين وكفار قريش مراسلات انتهت بعقد صلح الحديبية بين الرسول ﷺ والمسلمين.. وشعر المسلمون

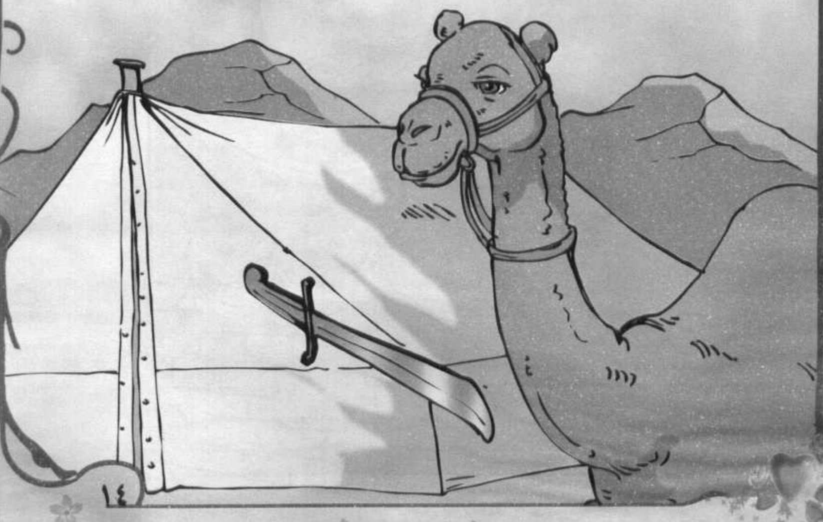
بأن شروط الصلح مجحفة لهم، لدرجة أن عمر بن الخطاب ظن فى بداية الأمر أن هذا الصلح خضوع من المسلمين للكفار، فذهب إلى رسول الله ﷺ فقال: ألست نبى الله حقًا؟ قال: بلى، قال: ألست على حق وعدونا على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار؟ قال: بلى. قال: فلماذا نعطى الدنية فى ديننا إذن؟ قال: إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى. قال: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قال: لا . قال: فإنك آتيه ومطوف به.

فلم يصبر عمر حتى أتى أبا بكر -رضى الله عنه- فسأله مثل ما سأل النبى ﷺ، فقال له: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يعصى ربه ولن يضيعه الله أبداً. فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على رسول الله، فأرسل إلى عمر فأقرأه إيَّاها. فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟! قال: نعم. فطابت نفسه.



ولما أمر النبى ﷺ أصحابه أن يقوموا فينحروا الهدى ثم يحلقوا ويتحللوا من إحرامهم ما قام منهم رجل، فكرر عليهم النبى ﷺ الأمر ثلاث مرات فلم يستجب أحد، فدخل الرسول ﷺ على أم سلمة وذكر لها ما لقى من الناس فقالت له: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل الآخر لفرط الغم.

وهكذا كانت مشورة أم سلمة نِعم المشورة، فلقد أدركت بفطنتها أن الصحابة إذا رأوا رسول الله ﷺ يفعل شيئًا فسوف يفعلوا مثله، فالأفعال أبلغ من الأقوال، ولا تحتمل غير شىء واحد وهو وجوب الفعل والتأسى برسول الله ﷺ . وهذا درس من رسول الله ﷺ يعلمنا فيه ضرورة أن يشاور



الرجل زوجته وأن يأخذ بمشورتها إذا كانت مشورة سديدة.

حياتها بعد رسول الله ﷺ:

لما مات رسول الله ﷺ لزمت أم سلمة بيتها عابدة طائعة لله تعالى، لا تدَّخر جهدًا فى تقديم نصح لأحد المسلمين إذا أتيح لها ذلك، وقد كان لها مكانة كبيرة فى نفوس صحابة النبى ﷺ جميعًا، وكذلك كانت هى تقدرهم أعظم تقدير، ويحكى عنها أنه لما مات سعد بن أبى وقاص -رضى الله عنه- حمل إليها سريره فصلت عليه وبكت وقالت: بقية صحابة رسول الله ﷺ.

ولما حدثت الفتنة الكبرى بين على ومعاوية كانت إلى جانب على -رضى الله عنه-، وأرسلت إليه بابنها عمر قائلة له: يا أمير المؤمنين، لولا أن أعصى الله -عز وجل-، وأنك لا تقبله منى لخرجت معك. وهذا ابنى عمر، والله لهو أعز على من نفسى، يخرج معك فيشهد مشاهدك.

ثم إنها عاتبت عائشة -رضى الله عنها- فى خروجها من بيتها ومشاركتها فى أحداث الفتنة قائلة لها: أىُّ خروج هذا الذى تخرجين؟ الله من وراء هذه الأمة لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لى: ادخلى الفردوس، لاستحييت أن ألقى محمدًا هاتكة حجابًا قد ضربه علىَّ.

وفاتها:

عُمِّرت أم سلمة حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلك وغشى عليها وحزنت عليه كثيرًا لم تلبث بعده إلا يسيرًا.

ففي سنة إحدى وستين من الهجرة لبَّت أم سلمة نداء ربها، وصعدت روحها إلى الرفيق الأعلى، ودفنت بالبقيع.. ونزل في قبرها ابنها عمر بن أبى سلمة وأخوه سلمة وعبد الله بن عبد الله بن أبى أمية وعبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي.

وكان لها يوم ماتت تسعون سنة، وكانت آخر من مات من نساء النبى ﷺ، فرحمها الله رحمة واسعة.